حجر

مي الحسيني

جلس علي قارعة الطريق مسندا ظهره الي احد الاعمدة ممدا قدميه مستريحا من عناء السير ممكسا بيديه حجرا صغيرا يتقاذفه بيديه فسمع صوت يهاتفه يا هذا فالتفت حوله لعله يحدد مصدر الصوت ولكن لم يجد احد فاعتدل في جلسته واخذ يطمئن نفسه بان ما سمعه ربما تهيأت من شدة التعب والارهاق فاسند ظهره ثانيه واكمل مقاذفة الحجر بين يديه فسمع الصوت مرة اخري ولكن بنبرة اعلي هذه المرة ياهذا انا هنا تتقاذفني بين يديك غير عابئ بي فانتفض من جلسته خائفا والقي بما في يديه علي الارض وجري مسرعا ولكن تعالي الصوت في اذنيه فقال بصوتا منتحبا يا هذا لا تتركني انتظر لا تخف انا حجر ضعيف لا املك ان اؤذيك فتراجع الرجل لبرهة والتقط الحجر مرة اخري واخذ يقلبه بين يديه معلنا استغرابه كيف لهذا الحجر ان يتكلم فرد الحجر بين يديه مجيبا لا تتعجب انطقني ما رأيته من هذه الدنيا اجلس وسأقص عليك قصتي فجلس الرجل وقلبه يخفق من شدة الاضطراب وبدء الحجر في الحكاية انا حجر صغير اسكن في زاوية الطريق حيث وجدتني تتقاذفني الايدي مرة والارجل مرة واحيانا تحملني الايدي قاذفتا بي مسكن أو متجر لتخريبه أو قاصدة رجل بعينه لايذائه واحيانا يحملني طفلا فرحا بي كانني قطعة كنز ثمين يحافظ علي

ويخبئني بعيد عن اعين الناس فانا في اعين الناس مجرد حجر لا أنفع ولا اضر ولكني من مكاني هذا شاهدت الكثير وعاصرت الكثير من الاحداث اول ما وجدت في هذا المكان كنت جزءا من ركام ملقي علي الارض وفي أحد الايام التقتطني شاب عامدا ان يلقي بي علي راس زميل كان يتشاجر معه فقد كان هذان الشابان رفيقان في العمل احدهما نجار والاخر حداد تشاجرا من أجل تقاسم بعض من المال لجلب المخدرات فاحتد احدهما علي الاخر في الحديث وبدأت المشادة بالايادي حتي حملني النجار ورفعني بقوة ملقيا بي بكل قوته علي راس زميله فجرحت جبينه وسالت عليه الدماء والقي بي النجار علي الارض وانا يكسوني دماء ذلك الحداد فحزنت حزنا شديدا لكوني سببا في جرح احد ومرت بي الايام وقد جف دم الحداد من علي وحملتني يد أخري يد طفل صغير اخذت تتقاذفني يمينا ويسارا ولأعلي ولأسفل وتطوح بي في الهواء حتي وجدت نفسي في أرضية احد المتاجر بعدما كسرت نافذته الزجاجية وسمعت صوت من أخر المتجر يصرخ ويستغيث الناس ويلعن من قام بتلك الفعلة فصاحب المتجر رجل بسيط عائل لاسرة كبيرة وما ياتي به من المتجر كل يوم

يكفي احتياجات أسرته بالكاد فكسر اللوح الزجاجي تكلفة ليست بالهينة بالنسبة له اما الطفل فقد عاد الي منزله مسرعا خوفا من أن يراه صاحب المتجر فيعاقبه علي فعلته تلك وفي صباح اليوم التالي وجدت نفسي ملقي في سلة مهملات علي جانب الطريق وجاء عامل النظافة ليفرغ السلة متذمرا كعادته فهو لا يحب كونه عاملا للنظافة ولا يحب تلك النظرة المذرية المحملة بالشفقة احيانا التي ينظر بها الناس اليه فهو في راي اغلب الناس رجل فقير غير مهندم الثياب يخشوا القرب منه نظرا لرائحته التي يظنون انها كريهة نظرا لعمله في جمع القمامة فهذا العمل من وجهة نظرهم عمل رديء لا قيمة له ولكن الذي لا يعلمه الناس ان هذا العامل اجبر علي هذا العمل لانه لم يجد غيره فهو شاب مكافح من أسرة فقيرة تحمل مشاق الحياة حتي

أكمل تعليمه الجامعي وحصل علي درجة الامتياز وكان مرشحا ليكن مدرسا بالجامعة ولكن عاندته الظروف وعين بدلا منه احد ابناء مدرسي الجامعة الكبار علي الرغم انهم ليسوا بكفاءته فلم يجد هذا الشاب الا ان يرضي بما قسم له فليس في يديه من الامر شيء وأخذ يبحث هنا وهناك علي وظيفة جيدة ولكن دون جدوي حتي وجد هذه الوظيفة عاملا للنظافة فما كان به الا ان يرضي ويصمد عله يحصل علي مايريد فيما بعد ولكن ما يحزنه نظرة الناس اليه نظرة المنبوذ الذي لا يستحق العيش فسقطت دمعة من الرجل أحس بها الحجر متسائلا ما بالك ايها الرجل الم تشهد فرحا قط فاجابه بلي شهدت فرحا واي فرح منذ عامين كنت ملقي في أحد الميدان فأذا بأناس كثر متجمعين يسيرون خلف بعضهم بإنتظام في مسيرة مهيبة يهتفون ويندوون بالسلطة الظالمة طالبين حقوقهم بشكل سلمي راقي معلنين للجميع بأن الغشاوة ازيلت من اعينهم وصاروا أكثر وعيا بحقوقهم وأنه لن يجبرهم أحد بعد ذلك علي الرضوخ والاستسلام وبدأت أعداد الناس في التزايد وبدأ صوت الهتاف يعلو طالبين رحيل ذلك النظام المستبد رافعين اللافتات المنددة بذلك الحكم ولك أن تتخيل كم الناس وكم هو جميل هذا المشهد الذي اجتمع فيه الشباب والفتيات والرجال والسيدات العجائز والاطفال وكل طوائف الشعب مجتمعة علي قلب واحد هدفهم رفع الظلم واعادة الحقوق مضحيين في ذلك بكل غال ونفيس ووسط هذه اللوحة الرائعة من جموع الشعب جاءت رجال الشرطة متوغلة هذا الجمع وأضفت لونها الدموي علي هذه اللوحة الرائعة فحولتها من لوحة زاهية بالوان الحرية والنضال إلى لوحة يكسوها دماء الشهداء وبدأ الناس في التساقط واحد تلو الاخر وظلوا هكذا حتي جاءت اللحظة الحاسمة لحظة سقوط الطاغية والتي ازاحت بدورها اعوام كاملة من الظلم والاستعباد وعمت الفرحة الميادين وبدأت جموع الشعب في التقاط أنفاسها معدة نفسها لعهد جديد يغلفه الحرية ويكسوه العدل ولكن لحظات الفرح ما تلبث ان تنتهي فبعد هذا المجد العظيم والصورة

التي رسمها الشعب في خياله عن سلطة عادلة ورئيس حكيم بات كل هذا وكانه حلم رفض أن يتحقق .

فبعدما اختارت جموع الشعب رئيسها بنفسها متوسمين فيه الدين والصلاح ممنيين أنفسهم بحياة يسودها الامن والاستقرار اذا بهم يستفيقوا علي حقيقة مرة وحياة تشوبها الصراعات الداخلية وانعدام مفرط في الامن وازدياد لحالات من القتل والبلطجة فصار الناس اشبه بذئاب جائعة تريد ان تنهش كل من يقف في طريقها فلم تعد الحاجة للمال والعيش الكريم هم مايبحث عنه الناس في هذه الايام ولكن صار جل همهم البحث عن الامان وامتلأت الميادين بصراخ ودماء المارة وما يحزنك ان كل هولاء القتلي والمقتولين اخوة واقارب فلم يعد سبيل للنجاة سوي الدفاع عن النفس حتي لو ان ذلك سيفقدنا من نحب فاجهش الرجل في البكاء وحمل الحجر بين يديه وقبله مخففا عنه ومعلنا له مؤاذرته في ألمه وطلب منه ان يأتي معه ولكن رفض الحجر قائلا سابقي هنا اجوب الميادين والشوارع واتنقل بين الناس باحثا عن شعاع فجر يمحي الظلمة التي نحياها ويعيد للحياة روح الامل والاشراق من جديد فحمل الرجل الحجر مودعا اياه متمنيا ان يلاقه في مكان وفي ظل احداث افضل ووضعه في مكانه في زاوية الطريق وانصرف.